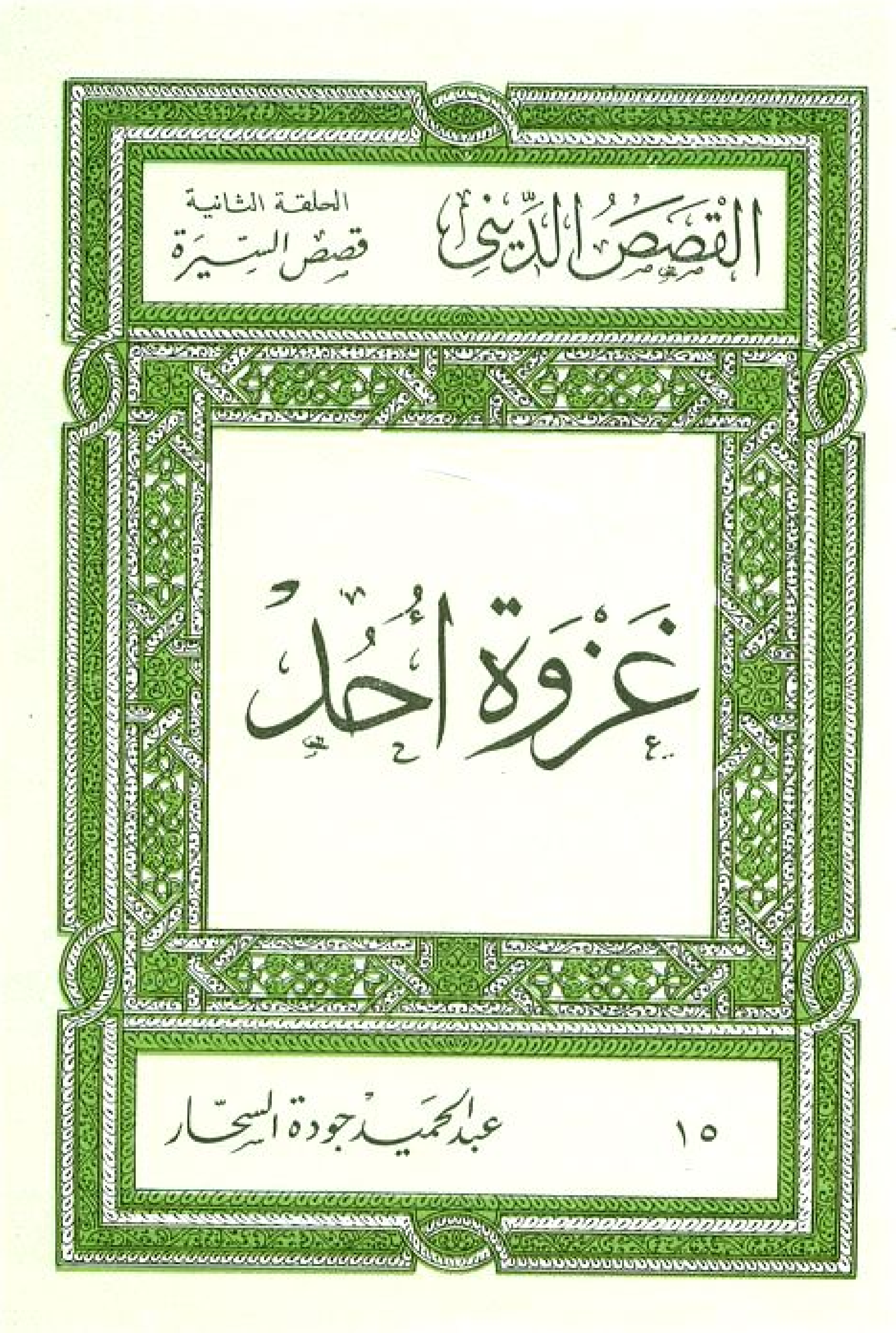


القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة أحد

عبد الحميد جودة السحار

١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَونَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْله ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

(قرآن كريم)

١

انتَصَرَ محمدٌ ﷺ علَى قُرَيشٍ فى بَدر ، وقَتَلَ أشرَافَهَا ، فاجْتَمَعَ أبْنَاءُ الّذينَ قُتِلُوا من قُرَيش ، وذَهَبُوا إلَى أَبِى سُفيانَ وساداتِ القومْ ، وقالوا :

ـ يا مَعْشَرَ قُرَيش ، إنَّ محمدًا قَتَلَ خِيَارَكُم فأَعِينُونَا علَى حَرْبِه .

واتَّفَقَتْ قُرَيشٌ علَى أن تخرُجَ لحرْبِ رسول اللّه ، لِيَثْأَرَ النّاسُ لآبَائِهم وأَبنائِهم وإخْوَتِهم الذين قُتِلُوا فى بدر . ودَعَا رَجُلٌ غُلامًا حَبَشِيًّا له ، يُقَالُ لَهُ « وَحْشِىّ » ، كانَ ماهِرًا فى قَذْفِ الحَربة ، فَلَمَّا يُخْطِىءُ بها ، وقالَ له :

ـ اُخْرُجْ معَ النّاس ، فإنْ أنتَ قَتَلْتَ حمزة ، عمَّ محمَّد ، بعَمِّى الّذى قتَله ، فأَنْتَ عَتيق .

وَخَرَجَتْ قُرَيشٌ فى عُدَّتِها ، وكان أبو سُفيانَ قائدَ النَّاس ، وخَرَجتْ معه زَوجَتُه هِنْدُ بنْتُ عُتْبَةَ بن رَبيعة ، تُحَرِّضُ النَّاسَ على قِتالِ مُحَمَّد ، لأَنَّ أَباهَا عُتْبَة ، وأَخاها الوَليد ، قُتِلاَ فى بدر ؛ قَتَلَهُما عَلِىٌّ وحَمزَة .

٢

بلغَ النَّبىَّ ﷺ ، أنَّ قُرَيشًا خَرَجَتْ لقتالِه وأَنَّها نَزَلَتْ عِنْدَ أُحُد ، فجمَعَ أَصحابَه ، وقال لهم :

– إنْ رأَيْتُمْ أَن تُقِيمُوا بالمَدِينة ، وتَدعُوهُم حَيثُ نزَلُوا فإنْ أَقَامُوا أَقامُوا بِشَرِّ مُقام ، وإنْ هُم دَخَلُوا علينا قَاتَلْنَاهُم .

كان رأْىُ النَّبىِّ أن ينتَظِرَ أعداءَهُ خلْفَ أَسْوَارِ المدينة ، وأن يَرمُوهم بالحِجارة ؛ وكان هذا هو الرَّأْىَ الصَّائب ، لأنَّ جَيْشَ قُرَيشٍ كان كبيرا ،

فكانت مُقابَلتُه مُجازَفة ؛ ولَو أنَّ النَّبىَّ وأَصحابَه تحصَّنُوا بالمَدينة لكانَ من العَسِيرِ على جَيشِ قُرَيشٍ أن يَدْخُلَها . ولَمْ يُعْجِبْ هذا الرأْىُ شَبابَ المُسلِمين ؛ كانوا يَرَونَ الخُروجَ لِقتَالِ الأَعداء فصَاحُوا :

ـ يا رسولَ اللّه ، اُخْرُجْ بِنا إلى أعدَائِنا ، لا يَرَونَ أنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا .

وقال عبدُ اللّهِ بنُ أُبَىّ ، وكانَ سَيِّدَ أهلِ المَدينةِ قبلَ قُدُومِ النّبىّ ، حتّى إنّهم فكَّرُوا قبلَ انتشارِ الإِسلام أَنْ يُتوِّجُوهُ ملِكًا عليهم :

ـ يا رَسولَ اللّه ، أَقِمْ بالمَدينة ، لا تَخْرُجْ إليهم ، فَواللّهِ ما خرجْنَا منها إلى عَدُوّ لَنا قَطّ إلاّ أصَابَ مِنَّا ، ولاَ دَخَلَها عَلَينَا إلاّ أَصَبْنَا مِنْه ، فَدَعْهُمْ يَارَسُولَ اللّه ، فإنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرّ مَحْبِس ، وإنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُم الرِّجالُ فى وجْهِهِم ، ورَماهم النّساءُ

والصبيانُ بالحِجارة من فوْقِهم ، وإنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خائِبينَ كما جاءُوا .

وارتفعَتْ أَصواتُ الشَّبابِ تطْلُبُ الخُرُوج ، فإنَّهُ عارٌ أَنْ يَدْخُلَ أَعْدَاؤُهم عليهمُ المدينة : فدخلَ النَّبيُّ دارَه ، فلمَّا رَأَى ذلك بعضُ الرِّجالِ قالُوا :

ـ أَمَرَنا رسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ نَمْكُثَ بالمَدينة ، ولكِنَّنا اسْتَكْرَهْنَاهُ على الخُروج ، ولم يكنْ لَنَا ذَلِك .

وخَرَجَ النَّبيُّ وقَدْ لَبِسَ عُدَّةَ الحَرب ، فجاءَ النَّاسُ إليه وقالوا :

ـ يا رسولَ اللّه امْكُثْ كما أَمَرْتَنا .

فقال : « ما يَنبَغِي لِنَبِيٍّ إذا أَخَذَ لأْمَةَ الحرب ، وأَذِنَ بالخروجِ إلى العَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حتّى يُقاتِل ؛ وقَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى هذَا الحديثِ فَأَبَيْتُمْ إلاَّ الخُروج ،

فَعَلَيكُمْ بِتقْوَى اللّه ، والصَّبْرِ عِنْدَ البأْس ، إذا لَقِيتُمُ العَدُوّ .

واجتمعَ جَيشُ المُسلمينَ فى المَسْجد ، وكانَ عِدَّتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ ، وأَقْبَلَ النَّبىُّ يَسْتَعْرِضُ الرِّجال ، ثم دَفَعَ رايَةَ الحربِ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْر . وقادَ النَّبىُّ الرِّجالَ خارِجَ المَدينة ، لِيُثْبِتَ المسلِمُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ أَعْلَى من أَصنامِ الكَعْبة .

٣

اغتاظَ عبدُ اللّهِ بنُ أُبَىّ ، لَمَّا لمْ يَأْخُذِ النَّبىُّ بنصِيحَتِه ، وعَمِلَ بمشَورَةِ الشَّباب ، فالتَفَتَ إلى مَنْ خَرَجَ مَعَهُ للقِتالِ مع النَّبىّ ، وقال :

ـ أَطاعَهُم وَعَصَانِى ، ما نَدْرِى علامَ نَقْتل أَنْفُسَنا ؟

ورَجَعَ بِمَن اتَّبَعَهُ من قوْمِه ، وكانوا ثُلُثَ النـاس .

واستمَرَّ رسولُ اللّهِ فى السَّيرِ بمن بَقِىَ معه ، حتّى بَلَغَ جَبَلَ أُحُد ، فجعَلَ ظَهْرَهُ وعَسْكَرَهُ إلى أُحُد ، وأَجْلَسَ جيشًا من الرُّمَاةِ فوقَ جَبَلٍ آخر ، وأَمَرَهُم أَلاَّ يَبْرَحُوا مكانَهم مهما حَدَثَ شَىءٌ إلاَّ بِأَمْرِه ، وَأَلاَّ يُفارِقُوا مَكَانَهُم مَهما بَلَغَتِ الظُّروف .

وجعلَ يصُفُّ حَمَلَةَ السُّيوفِ ، بحيثُ كان كتِفُ كلٍّ منهم إلى كَتِفِ أخِيه ، لِيُقابِلُوا هُجُومَ قريشٍ كالْبنيانِ المرصُوص . كان جيشُه سبعَمائةِ مُقاتِل ، وكان جيشُ أبى سُفيانَ ثلاثَةَ آلاف مقاتِل ، ولكنَّه كان واثِقًا من أنَّ رُوحَ جيشِه أقوى من روح جيش أبى سُفيان ، فلو أطاعَ جيشُه أوامِرَه ، لأنزلَ الهزيمَةَ بأعدائِه وأعداء الإسلام .

وظَهَرَ القُرشيُّونَ فى السَّهلِ المُنبَسِطِ أمامَ جبَلِ

أُحُد ، وتَقَدَّمُوا حتى أصبَحُوا أمام جيشِ محمدٍ وجهًا لوجه ، وبدأتِ المعركة ، وكانت تبدأُ بالمُبارزاتِ الفردِية .

خرجَ رجُلٌ من قُرَيش يطلبُ المُبارَزة ، فخرَجَ إليه حَمْزَةُ عمُّ رسولِ اللّه ، وهو من أبطالِ المسلِمين ، فضَرَبَ حمزةُ الرجُلَ بسيفِه فَقَتَلَه ، فخرجَ ابنُ أبى طَلْحَةَ من صُفُوفِ قريش ، وهو بطل من أبطالِها ، وصاح : « يا أبا القاسِمِ مَن يُبارِز ؟ » .

فلم يخرُجْ له أحد ، فصاحَ ثانية :

ـ يا أبا القاسِمِ ، مَن يُبارِز ؟

فلم يخْرُجْ له أحدٌ من المسلِمين ، فصاح :

ـ يا أصحابَ محمد ، زعَمتُم أنَّ قَتلاكُم فى الجَنَّة ، وأنَّ قَتلانا فى النار ، كذبتُم واللاّت ، لو تَعلَمون ذلك حقًّا لَخرَجَ إلىَّ بعضُكم .

فخرجَ إليه عليُّ بنُ أبى طالِب ، وتبادَلا الضَّرَبات ، وأحَسَّ ابنُ طَلحَةَ بانْهزامِه ، ففرَّ من وجه عليّ ، ولكنَّ عليًّا عاجَله بضرْبَةٍ ، أطاحَتْ رأسَه .

وبَدَأتِ المعرَكة ، فاندَفَعَ المسلِمُونَ من فوقِ الجبَل ، وهم يصيحُون :

- أمِتْ ... أمِتْ .

وراح المسلِمُونَ يقتُلونَ الكفّار ، وكان خالِدُ بنُ الوَليدِ فى صفوف قريش ، وكان قائِدَ فُرسانِ المشركين ، فراحَ يُحاوِلُ أن يَلُفَّ بفُرسانِه حولَ جيشِ محمد ، ولكنَّ رُماةَ محمدٍ الذينَ كانوا فوق الجبل الآخر ، كانوا يُصَوِّبُونَ سهامَهم إلى فُرسانِه ، فَيرجِعُون .

وانسحَبَ العَدُوُّ مهزومًا ، ولم يتَنَبَّهِ المسلمونَ للقضاء عليه ، بل راحُوا يَجْمَعُونَ الغنائِم ؛ ورأى

الرُّماةُ ذلك ، فَحَسِبُوا أنَّ المعركةَ قد انتهَتْ فصاحُوا :

– الغَنِيمةَ ، الغَنِيمة .

فصاحَ قائِدُهم فيهم :

– عَهِدَ إلىَّ ﷺ ألاَّ تَبْرَحُوا .

فقال الرُّماة :

– انهَزمَ القَوم ، بدأ إخوانُنا فى جَمعِ الغَنائِم .

وتركُوا أماكِنَهم ، وعَصَوا أمْرَ رسولِ اللّه ، وذهَبُوا لِيَجمَعُوا الغنائِم ، فلما رأى خالدُ بنُ الوليدِ ذلك ، وكان قائِدًا ماهرًا ، أدارَ فُرسانَه ، وجاءَ من خلْفِ الرُّماة ، وأخَذُوا يُوَجِّهُونَ سِهامَهم إلى المسلمين ، بينَ أُحُدٍ وجبلِ الرُّماة ، وراحتْ الرِّماحُ تخترِق صدور المهاجِرينَ والأنصار ، كانت مفاجَأةً عنيفَةً بَدَّلَتِ المعركة ، فبَعدَ أن كان المسلمونَ

منتصِرين ، أصبَحُوا يُدافِعُونَ عن أنفُسِهم دفاعَ اليائِسين .

ولَمَحَ وحشِىٌّ حمزة ، فرَفَعَ حربَتَه وهزَّها ، ثم رَمَى بها حمزة ، فسَقَطَ ودمُه يسِيل ، ثم فارَقَ الحياة ، وجاء وحشىٌّ فأخذَ حَرْبَتَه ، وذهَبَ إلى هِند ، يُخبِرُها أنه قتَلَ حمزة ، الذى قتلَ أباها وأخاها يومَ بدر .

وجاءَت هنْدُ إلى جُثَّة حمزة ، وفَتَحتْ بَطنَه وجذَبَت كَبِدَه ، وجَعَلَتْ تَلُوكُها فى فَمِها ، لِتُطفِىءَ نارَ الحِقدِ المتَوَقّدَةِ فى جَوفِها ، وفى ذلك الوقت تفرّقَ المسلمون عن النبىِّ ﷺ ، ولم يبْقَ معه إلاّ علىٌّ وعُمَرُ وأبو بكر ، وبعضُ نفَرٍ من المسلِمينَ يدافِعُونَ عَنه .

ولَمَحتْ أمُّ عُمارة ، وكانت امرأةً مسلِمةً تسقِي المُحارِبينَ الماءَ ، انهِزامَ النّاسِ عن النّبيِّ ﷺ ، فألْقَتْ بالقِرْبَةِ التى كانت تَحْمِلُها ، وتناوَلَتْ سَيفا ، وجاءَت إلى رَسُولِ اللّه ، تُدافِعُ عنه مع من ثَبتَ معه ؛ وجاءَ رجلٌ من قُريش يصيح :

ـ دُلُّونِى على محمد ، فلا نَجَوتُ إن نَجا .

فاعْتَرَضَتَه أمُّ عُمارة ، فَضَربَها بسيفِه فجُرِحت ، ولكنّها ضَرَبَته ضَربتَين ، فَفَرَّ من أمامِها .

وصاحَ صائِح :

ـ ألا إنَّ محمَّدًا قُتل .

وحَسِبَ أبو سُفيانَ أنَّ رسولَ اللّه قدْ قُتل ، فَأمَرَ بِوقْفِ القِتال ، فما جاءَ إلاّ لِيَقتُلَ محمَّدا ، وليثأرَ من حمزة ، لِيُرضِىَ زوجَتَه ؛ وجَمَعَ رجالَه حولَ لِوائِه :

ورأى أحَدُ المسلِمينَ رسـولَ اللّـه ، بعدَ أن ظَـنَّ أنّـه قُتِلَ فى المعركة ، فصاحَ فى فَرَح :

ـ يا مَعشَرَ المسلمين ، أبْشِرُوا ! هذا رسولُ اللّه .

فأشارَ لـه رسولُ اللّـه أن يسكُت ، وراح أبـو سُفيانَ يبحَثُ عـن جُثّةِ محمَّدٍ بينَ القَتلَى ، فلمّا لم يَجِدْها أحَسَّ خَيبَةَ أمَل ، وصاح :

ـ أفى القومِ محمَّد ؟

فقال النبىُّ : « لا تُجِيبُوه » .

فصاحَ أبو سفيان :

ـ أفى القَومِ ابنُ أبى قُحافَة (أبو بكر) ؟

فقال النبىُّ : « لا تجيبوه » .

فصاح أبو سفيان :

ـ أفى القَوم ابنُ الخطّاب ؟

فلم يسمعْ أبو سُفيانَ صَوتًا ، فقال :

ـ إنَّ هؤلاء قُتِلُوا ، لو كانوا أحياءً لأجابُوا .

فلم يستطِع عُمَرُ أن يصبِر ، فقال : «كَذَبْتَ يا عَدُوَّ اللّه ، أبْقَى اللّه علَيكَ ما يُخْزِيك» .

واستَعَدَّ المسلمونَ ليستَأنِفُوا القِتال ، ولكنَّ أبا سفيانَ لم يَقْبَلْ هذا التَّحَدِّى ، بل قال : « يومٌ بيومِ بدر ، اعْلُ هُبَل ، لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم » .

فأجابَه عُمَر : « اللّه مولانا ، ولا مَولَى لكم » .

فقال أبو سُفيان : «إنَّ مَوعِدَكم بَدْرٌ العامَ المقبل» .

فقال عمر : « نعم بينَنا وبينكم مَوعِد ».

وجَمَعَ أبو سفيان رِجالَه ، وذهَبَ إلى مكة ، وهبط النبيُّ ﷺ ليَرى من قُتِلَ من رِجالِه ، فلما رأى

عَمِّه حمزةَ قتيلا ، دَمَعَت عيناه ، ونَزَلَ به حُزْنٌ ثقيل .

وحَزِنَ المسلمونَ لِما أصابَهم ، بِسَبَبِ عِصيانِ أوامِرِ الرَّسولِ ﷺ، ولكنْ مُسِحَ من صُدُورِهم ذلك الحُزن ، لـمَّا نَزَلَ القُرآن ، فقد قال اللّه لهم :

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَونَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِين * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ، وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُم ، وَيَعْلَمَ الصَّابرين * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُون ﴾ .